الأسبوع السادس

مناهج البحث العلمي: المنهج التاريخي والمنهج الوصفي

Scientific Research Approaches: Historical & Descriptive Approaches

مناهج البحث العلمي Research Approaches

يعد التصنيف على أساس البعد الزمني لوقوع الحدث أكثر التصنيفات شيوعا واستخداما والذي يصنف المناهج البحثية إلى مناهج تاريخية ووصفية وتجريبي. وفيما يلي عرضا لهذه المناهج البحثية.

اولاً: منهج البحث التاريخي Historical Research Approach

يستخدم المنهج البحثي التاريخي في دراسة الأحداث والظواهر التي حدثت في الماضي وتفسيرها في ضوء علاقتها وترابطها مع أحداث وظواهر أخرى ، وأن معرفة الماضي وخصوصياته على الدوام تثير اهتمامات الناس ودوافعهم بسبب صلتها بالحاضر الذي هم فيه .

إن التوثيق التاريخي لسلوك الناس والمجتمعات من قبل المفكرين يعود إلى أعماق التاريخ ، ولكن بالرغم من ذلك فإن أسلوب وغرض تناول الأحداث التاريخية مرتبطة بالإنسان والمجتمعات وقد تغير عبر العصور وهذا يعود بدرجة أساسية إلى تطور في الفكر الإنساني في تناول الأحداث والظواهر الإنسانية والطبيعية . وأخذ ينظر إلى التاريخ بانه علم البحث عن الحقيقة . فقد أشار ثوسيديديس (Theoseadedes) في القرن الخامس قبل الميلاد بانه ينظر إلى التاريخ ليس مجرد سرد قصص واسعة الخيال ، وأكد على ضرورة أن يتناول التاريخ وصفا دقيقا للماضي للمساعدة في فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل . وفي الزمن الحاضر يحاول الباحثون إرساء هذا المنهج التاريخي وفق أسس علمية يستلهم مبادئه وأهدافه وأساليب إجرائه من منهجية البحث العلمي والطريقة العلمية في الوصول إلى تفسيرات للمشكلات البحثية . وقد أخذ يتسع ميدان استخدام المنهج التاريخي بحيث لم يصبح مقتصر على المادة التي يطلق عليها التاريخ ، وإنما أخذ يستخدم في مجالات متعددة في العلوم الطبيعية والإنسانية المختلفة . وهذا يعني أن الباحثين يمكن أن يستخدموا المنهج التاريخي بغض النظر عن كون الدراسة تاريخية بحتة ، فإنه أصبح منهجا علميا يعتمد الطريقة العلمية في تناول خطواته وإجراءاته .

يعتمد الباحث في المنهج التاريخي على البيانات والمعلومات التي تحقق أهداف بحثه إلا أنه مقيد بما هو متاح له من معلومات وبيانات لتفسير وفهم مشكلة البحث. فهو لا يتمكن من جمع المعلومات بنفسه عن الأحداث التي يشهدها والتي سبقت وجوده زمنيا . لذلك قد يجد الباحث كما كافيا من المعلومات عن موضوع البحث وقد لا يجد إلا القليل الذي لا يوصل إلى تفسير دقيق للمشكلة . وهذا يعتمد على خصوصية المشكلة البحثية .

إن الباحث في مرحلة جمع المعلومات يحتاج إلى التعرف على المعلومات من مصادر متعددة قد تكون متوفرة في كتب أو تقارير أو رسائل أو دراسات أجريت في السابق أو وثائق رسمية وقوانين وسجلات حكومية، أو قد يحصل عليها من خلال أشياء مادية كبقايا الاثار والمخلفات التاريخية الأخرى.

مصادر البيانات في البحث التاريخي

ولقد تم تقسيم المصادر للمعلومات إلى نوعين رئيسين هما المصادر الأولية للمعلومات والمصادر الثانوية للمعلومات .

أ - المصادر الأولية للمعلومات Primary Sources of Information

عندما لا يتمكن الباحث التاريخي من ملاحظة الأحداث الماضية بنفسه، فإنه يبحث عن أفضل السبل للحصول على المعلومات والبيانات ذات الصلة بهذه الأحداث. وأفضل السبل هي الرجوع إلى المصادر الأولية التي تتمثل بما دونه الأشخاص الذين شهدوا تلك الأحداث بأبصارهم وسماعهم لها بآذانهم، هذا بالإضافة إلى الأشياء المادية المحسوسة التي استخدمت في الماضي والتي يمكن تفحصها للوصول إلى حقائق ومعلومات تساعد في فهم الأحداث والظواهر.

وعموما المقصود بالمصادر الأولية بأنها تلك المعلومات والحقائق المكتوبة أو المنطوقة أو التي ذكرت أو دونت من قبل أشخاص شهدوا الحدث أو عاصروه أو أتيحت لهم الفرصة لمشاهدته شخصيا. إضافة إلى معلومات وردت من تلك الحقبة التاريخية بشكل صور أو تسجيلات صوتية أو وثائق رسمية وقوانين وأشياء مادية مثل بقايا الاثار والمنحوتات وغيرها....

وفيما يلي أهم المصادر الأولية:

1. نتائج البحوث والدراسات العلمية المنشورة مثل الأطروحات والرسائل الجامعية والبحوث المنشورة في المجلات العلمي.
2. السير والتراجم الخاصة بالشخصيات السياسية والأكاديمي.
3. الوثائق التاريخية المحفوظة في دور الكتب والمراكز الوطني.
4. الوثائق الرسمية التي تتمثل بالمخاطبات والمراسلات بين المؤسسات والمنظمات وغيرها ...
5. التقارير السنوية والإحصائية التي تصدر بشكل دوري ومنتظم فصليا أوسنويا من مؤسسات محلية أو دولية .

6. المطبوعات التي تكتب من قبل المعنين بها ولكن لم تنشر، حيث تكون لها أهمية تاريخية ذات قيمة موضوعية

7. براءات الاختراع المدونة معلوماتها والمسجلة في الجهات الرسمية المعنية.

8. الاثار المادية مثل المباني والمرافق والمواقع والاثار والمعدات والأزياء والجوائز والشهادات وبقايا الهياكل العظمية.

ب - المصادر الثانوية للمعلومات Secondary Sources of Information

من الضروري أن يرجع الباحث عند استخدام المنهج التاريخي إلى مصادر المعلومات الثانوية حينما لا يتمكن من الحصول على المصادر الأولية ، أو أن هناك نقص أو عدم ووضوح كافٍ في معلوماتها. والمعلومات الثانوية تكون مدونه من قبل أشخاص لم يعاصروا أو يشهدوا الحدث في الماضي بنفسهم.

ومعظم الأحيان تنقل المصادر الثانوية المعلومات عن المصادر الأولية بشكل مباشر أو غير مباشر ، أي تكون مترجمة عبر مصدر ثانٍ أو ثالث أو رابع ..الخ . لهذا ينبغي على الباحثين الاعتماد على المصادر الأولية في جمع المعلومات أولا بدلا من اللجوء إلى المصادر الثانوية في تناول الأحداث والظواهر التي حدثت في الماضي وحتى في كتابة البحوث العلمية والأطروحات والرسائل الجامعية . ولكن في حالة صعوبة واستحالة الحصول على المصادر الأولية المطلوبة فإن الباحث يمكن له الرجوع إلى المصادر الثانوية للمعلومات ذات الصلة بموضوع الدراسة.

والأسباب التي تقلل من أهمية استخدام المصادر الثانوية للمعلومات هي:

1. احتمالات الوقوع بأخطاء عند نقل الأرقام والبيانات من المصدر الأولي إلى المصدر الثانوي ، أو من مصدر ثانوي إلى اخر.

2.احتمال حصول أخطاء في اختيار المصطلحات والمفردات والمفاهيم المناسبة وبخاصة عند ترجمة المعلومات من لغة إلى أخرى.

3. احتمالات الإضافة والحذف على البيانات والمعلومات الأصلية لغرض التوضيح مما يرافق ذلك تغيير في تفسير المعلومات وبالتالي الوقوع بأخطاء غير متعمدة.

4. احتمالات التحريف والتزييف في المعلومات وذلك بأحداث تغييرات متعمدة في المعلومات الأصلية لتحقيق أهداف ومكاسب معينة.

نقد مصادر البيانات والمعلومات Critique of Data and Information Sources

عندما يتفحص الباحث المعلومات التي توفرها المصادر المختلفة بشكل ناقد وبناء للوقوف على موثوقيتها وصدقها وذلك بمقابلتها مع بعضها فإنه يستطيع أن يصل إلى معلومات دقيقة وفهم أكثر للحدث وما يرتبط به من عوامل واحداث . ولهذا يجدر بالباحث أن لا يكتفي بمصدر واحد للمعلومات بل يفحص كل ما هو متاح له من مصادر لها صلة بموضوع الدراسة لكي يحدد المعلومات والحقائق الصادقة . ولهذا فإن عملية تقديم وصف صادق للأحداث الماضية تتطلب من الباحث إخضاع مصادر المعلومات ومادة الدراسة **إلى نوعين من النقد هما النقد الخارجي للمصادر والنقد الداخلي للمصادر**

1- النقد الخارجي للمصادر External Critique of Information

ويقصد بالنقد الخارجي لمصدر المعلومات بأنه التفحص والتحقق من صدق وأصالة المصدر أو الوثيقة التي تقتبس منها المعلومات . فقد تكون الوثيقة محرفة ، لذلك فإن الباحث لا يقبلها كمصدر للمعلومات في بحثه

2- النقد الداخلي للمصادر Internal Critique of Information

يهتم النقد الداخلي لمصادر المعلومات ت بالتحقق من صدق المحتوى (المادة) المضمنة في المصدر أو الوثيقة. ولذلك فإن النقد الداخلي عادة يأتي بعد النقد الخارجي لمصدر المعلومات لكي يتوصل الباحث إلى صدق المادة التي يتضمنها المصدر أو الوثيقة .

منهج البحث الوصفي

ثانياً - منهج البحث الوصفي Descriptive Research Approach

يهتم هذا المنهج البحثي كما تستدل عليه التسمية بوصف الحدث أو الظاهرة محط اهتمام الباحث وصفا علميا دقيقا ، ومحاولة استقصاء الحلول والتفسيرات استنادا إلى ما تتمخض عنه البيانات والمعلومات من نتائج . ويعد هذا المنهج البحثي ركنا أساسيا من أركان المناهج البحثية ، ويحتل مساحة واسعة نسبيا بين المناهج المستخدمة في العلوم الإنسانية والطبيعية . وتعود نشأة المنهج الوصفي في البحث تاريخيا إلى دراسة المشكلات الإنسانية ، وتعود البداية له إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر في أوروبا . فقد استخدم هذا المنهج في دراسات تناولت وصف حالة السجناء في السجون الإنجليزية وإجراء مقارنة مع ما يحدث في السجون الفرنسية والألمانية . ثم ما لبثت أن توسعت استخدامات هذا المنهج ونشطت في القرن التاسع عشر في تناول المشكلات الإنسانية والاجتماعية ، مما شجع الكثير من المختصين في العمل على تطوير إجراءاته ووسائله

في جمع البيانات والمعلومات مثل الاستبانات والمقابلات واستطلاعات الرأي ومقاييس التقدير والملاحظات المقننة وغيرها . وقد حدث تطور كبير في الربع الأخير من القرن العشرين وحتى وقتنا الحاضر في توظيف استخدام الحاسبات الإلكترونية في عمليات تبويب وتصنيف البيانات المجمعة ومن ثم تحليلها لاستخلاص النتائج وتفسيرها . وقد ساعدت هذه التقنيات الالكترونية في تسهيل وسرعة إنجاز البحوث الوصفية مقارنة بالوسائل اليدوية التقليديةً . وتجدر الإشارة بأن استخدام منهج البحث الوصفي لم يبق مقتصرا على دراسة المشكلات في المجالات الإنسانية بل توسع ليشمل دراسة الظواهر والأحداث التي تتناولها العلوم الطبيعية مثل الظواهر الفيزيائية والفلكية والكيميائية والبيولوجية وغيرها .

ومن الأهمية أن نذكر بأن هناك ثلاث حقائق يقوم عليهما المنهج الوصفي هما:

ا- لا يقتصر المنهج الوصفي في البحث على مجرد وصف الظاهرة من خلال البيانات المجمعة عنها فحسب، وإنما يعمل على تنظيمها وتصنيفها وتبويبها والتعبير عنها بوصف كمي أو نوعي أو الاثنين معا . بحيث يؤدي ذلك إلى فهم الظاهرة.

ب . الوصول إلى استنتاجات وتعميمات وذلك من خلال النتائج لعلاقة الظاهرة قيد الدراسة بظواهر أو أحداث أخرى.

ج. أن البحوث التي تعتمد على المنهج الوصفي في إجراءاتها لا تبحث عن العلاقات السببية بين الظواهر أو الأحداث أو المتغيرات، كما في البحوث التجريبية التي تركز على اكتشاف العلاقات السببية.

وأخيرا بعد هذا العرض لمنهج البحث الوصفي نوضح المفاهيم ذات الصلة بهذالمنهج .

أنواع البحوث الوصفية Kinds of Descriptive Researches

تتخذ البحوث الوصفية أشكالا متعددة في تصنيفها ، ولا يوجد اتفاق بين المختصين على تصنيف موحد لها.
وبناء على ذلك فقد جرى تصنيفها **إلى ثلاثة أنواع هي البحوث المسحية والبحوث الوصفية التحليلية وبحوث العلاقات المتبادلة** . ويشمل كل نوع من هذه الأنواع على عدد من الأنواع الفرعية.

1- البحوث المسحية Survey Researches

تهتم البحوث المسحية بدراسة الظاهرة ووضعها الراهن لتقديم وصفا لخصائصها وتوزيعها في المجتمع الإحصائي ، ولا تستخدم للكشف عن العلاقات الارتباطية بين المتغيرات المختلفة . وتغطي البحوث المسحية ميادين ومواضيع متعددة ، فقد يتم تطبيقها في دراسة الأحداث السياسية ويمكن أن توفر معلومات عن الممارسات الديموقراطية و السياسية . وأيضا يتم تطبيقها في دراسة الظواهر الاقتصادية في المجتمع مثل بحوث تتعلق بتوزيع الثروة والنزعة الاستهلاكية لدى فئات المجتمع الإحصائي . وكذلك يتم تطبيقه في الدراسات التي تتناول الظواهر التربوية والتعليمية ، إضافة إلى دراسة الظواهر الاجتماعية والثقافية مثل ظاهرة جنوح الأحداث وظاهرة الاغتراب للحاصلين على درجات علمية متقدمة . وتجدر الإشارة إلى أن البحوث المسحية لا تقتصر على دراسة الظواهر الإنسانية فحسب وإنما الظواهر الطبيعية أيضا مثل الظواهر البيئية والفلكية والجيولوجية والحيوية وغيرها.

2- البحوث الوصفية التحليلية Descriptive Analytical Researches

تهدف هذه البحوث إلى تجزئة الكل إلى وحدات أصغر بغية التعرف على درجة تمثلها في الوثائق والمراجع وميادين العمل . وتشمل هذه البحوث على بحوث تحليل المحتوى وتحليل العمل .

أ- تحليل المحتوى Content Analysis

يعد تحليل المحتوى أحد مناهج البحث الوصفي الذ ي يتناول مادة الاتصال المكتوبة اللفظية والمكتوبة كموضوعات دراسية لأغراض البحث العلمي. وتحليل المحتوى يتكون من **مصطلحين الأول هو التحليل والثاني هو المحتوى** ويعرف التحليل بإنه تجزئة أو تفصيل الكل إلى أجزاء أو مفردات وربطها بعناصرها الرئيسة. أما المحتوى فيعني بمادة الاتصال المكتوبة اللفظية والمكتوبة التي يتناولها الباحث لغرض التحليل. وعموما ظهرت عدة تعريفات لتحليل المحتوى منها تعريف بيرلسون الذي نظر إليه بانه **"أسلوب بحثي يهدف إلى وصف المحتوى الظاهر للمادة الإعلامية وصفا موضوعيا كميا ومنظما . وبالرغم من أن الطريقة تتسم بالشمولية الا أن التحليل يتصف بالتدقيق الشديد وبالنظامية"** ويرى عبدالحميد أن تحليل المحتوى " هو مجموعة الخطوات المنهجية التي تسعى إلى اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى والعلاقات الارتباطية بهذه المعاني .

وعموما فإن هناك نوعا من الاتفاق على مفهوم تحليل المحتوى بين المفكرين والمختصين من حيث كونه أداة وأسلوب بحثي وليس غاية بحد ذاته , وإنه يتناول المادة الدراسية ووصفها كيفيا وكميا ويصف الشكل الظاهر والصريح لها وكل هذا يجري وفقا لخطة بحثية تتضمن معايير محددة وأهداف يمكن تحقيقها.

ب- دراسة الحالة Case Study

تعد دراسة الحالة نوعا من الدراسات الوصفية المتعمقة لحالة ترتبط بفرد أو مجموعة أو مؤسسة ، وذلك لجمع الحقائق والبيانات عن الوضع الراهن والأوضاع السابقة لفهم الحالة بشكل معمق والبحث عن العوامل سواء بشكل انفرادي أم مجتمعة في علاقتها مع نوعية الحالة قيد الدراسة . وبعد تحليل نتائج تلك العوامل وعلاقتها بالحالة المدروسة يستطيع الباحث التوصل إلى االستنتاجات شاملة ومتكاملة لتلك الحالة . وقد ظهرت أهمية دراسة الحالة في ميادين مختلفة مثل الخدمة الاجتماعية والعلاج الطبي والنفسي والاقتصاد والإدارة وغيرها من الميادين . وتعود جذور دراسات الحالة كمنهج بحثي إلى عهود تاريخية قديمة عندما كان العلماء والفلاسفة تنصب جهودهم على دراسة الناس والشعوب بغية وصف عاداتهم وتقاليدهم معتقداتهم . ويجدر هنا أن نوضح بأن دراسة الحالة ليست أسلوبا لجمع البيانات تستخدم فيها أدوات قياسية فحسب وإنما منهجا بحثيا يعتمد على الطريقة العلمية بكافة خطواتها للتوصل إلى نتائج أو استنتاجات حول الحالة المدروسة. وأن ما يميزها عن الدراسات المسحية الواسعة هي البيانات التفصيلية والمعمقة التي يجمعها الباحث عن مشكلة البحث والابتعاد عن السطحية والعمومية التي تتمثل في الدراسات المسحية. وكذلك فإن الباحث في دراسة الحالة يقوم بجمع معلومات وبيانات ذات صلة بعوامل ومتغيرات كثيرة ولكن لعدد محدود من الأفراد أو الوحدات الاجتماعية ، على العكس من الدراسات المسحية التي يقوم الباحث فيها بجمع البيانات والمعلومات التي تتعلق بعدد محدود من العوامل والمتغيرات من عدد كبير من الأفراد أو الوحدات الاجتماعية. هذا بالإضافة إلى كون دراسة الحالة تركز بشكل كبير على الكيف مقارنة بالدراسات المسحية التي تركيزها على الكم بشكل كبير. اذ عن طريق الوصف يمكن التوصل إلى كم هائل من المعلومات القيمة التي ليس بمقدور الدراسات الكمية التوصل إليها. ولهذا في كثير من الأحيان تستخدم دراسة الحالة كمكمل للدراسة المسحية . ويذكر يونج في كتابه**"البحث والمسوحات الاجتماعية العلمية"** أن أكثر الدراسات أهمية في العلوم الاجتماعية هي تلك التي ترتبط بدراسات مستفيضة للحالات لتصف بدقة العلاقات المتبادلة بين العوامل والعمليات . ولهذا تعد دراسات الحالة ذات أهمية عند إجراء

الدراسات المسحية لأنها تكشف عن العوامل التي يمكن قياسها كميا في دراسة موقف بحثي معين , وبنفس الوقت فإن الدراسات المسحية تخدم دراسة الحالة في انتقاء المبحوثين لغرض دراسة موقف معين. ولهذا يمكن القول بأن هناك فائدة علمية متبادلة بين دراسات الحالة والدراسات المسحية في العلوم الإنسانية والتربوية .

3- بحوث العلاقات المتبادلة Interactional Relationships Researches

تمثل بحوث العلاقات المتبادلة نوعا من أنواع البحوث التي تنتهج أسلوب البحث الوصفي . ولا تقتصر هذه البحوث على مجرد جمع الحقائق والبيانات عن سمات الظواهر والمتغيرات ولكن إلى الكشف عن العلاقات وطبيعتها للوصول إلى فهم وتفسير أعمق لهذه الظواهر. **وتشتمل هذه البحوث على أنواع الدراسات الارتباطية والدراسات العلية أو السببية المقارنة.**